

تفسير ابن كثير

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ^ج لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
أَلَّفَ بَيْنَهُمْ^ج إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أي : لما كان بينهم من العداوة

والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، بين الأوس والخزرج ،

وأمر يلزم منها التسلسل في الشر ، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان ، كما قال تعالى : (

واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) [

آل عمران : 103] . وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما خطب

الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم : يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلالا فهداكم

الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، كلما قال شيئا قالوا :

الله ورسوله أمن . ولهذا قال تعالى : (ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) أي : عزيز

الجناب ، فلا يخيب رجاء من توكل عليه ، حكيم في أفعاله وأحكامه . قال الحافظ أبو

بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا علي بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا ،
أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحسن القنديلي الإستراباذي ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن
محمد بن النعمان الصفار ، حدثنا ميمون بن الحكم ، حدثنا بكر بن الشروذ ، عن محمد
بن مسلم الطائفي ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قرابة الرحم
تقطع ، ومنة النعمة تكفر ، ولم ير مثل تقارب القلوب ؛ يقول الله تعالى : (لو أنفقت ما
في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم) وذلك موجود في الشعر : إذا مت ذو القربى إليك
برحمه فغشك واستغنى فليس بذئ رحيم ولكن ذا القربى الذي إن دعوتها أجاب ومن يرمي
العدو الذي ترمى قال : ومن ذلك قول القائل : ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم وبلوت ما
وصلوا من الأسباب فإذا القرابة لا تقرب قاطعا وإذا المودة أقرب الأسباب قال البيهقي : لا
أدري هذا موصول بكلام ابن عباس ، أو هو من قول من دونه من الرواة ؟ . وقال أبو
إسحاق السبيعي ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - سمعته
يقول : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم) الآية ، قال : هم
المتحابون في الله ، وفي رواية : نزلت في المتحابين في الله . رواه النسائي والحاكم في

مستدركه ، وقال : صحيح .وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ،
عن ابن عباس قال : إن الرحم لتقطع ، وإن النعمة لتكفر ، وإن الله إذا قارب بين القلوب
لم يرحلها شيء ، ثم قرأ : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) رواه
الحاكم أيضا .وقال أبو عمرو الأوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد - ولقيته
فأخذ بيدي فقال : إذا تراءى المتحابان في الله ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، وضحك
إليه ، تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر . قال عبدة : فقلت له : إن هذا ليسير !
فقال : لا تقل ذلك ؛ فإن الله تعالى يقول : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت
بين قلوبهم) ! . قال عبدة : فعرفت أنه أفقه مني .وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ،
حدثنا ابن يمان عن إبراهيم الخوزي عن الوليد بن أبي مغيث ، عن مجاهد قال : إذا التقى
المسلمان فتصافحا غفر لهما ، قال : قلت لمجاهد : بمصافحة يغفر لهما ؟ فقال مجاهد :
أما سمعته يقول : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف
بينهم) ؟ فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم مني .وكذا روى طلحة بن مصرف ، عن مجاهد
.وقال ابن عون ، عن عمير بن إسحاق قال : كنا نحدث أن أول ما يرفع من الناس - [أو

قال : عن الناس [- الألفة . وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - رحمه

الله - : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا

سالم بن غيلان ، سمعت جعدا أبا عثمان ، حدثني أبو عثمان النهدي ، عن سلمان

الفارسي : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم ،

فأخذ بيده ، تحاتت عنهما ذنوبهما ، كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح

عاصف ، وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحار .